من أدلة المروءة

الناس يغدون فى السير إذ يغدون إلى أعمالهم ولا تزال الشمس حمراء الخيوط فاترة الأشعة ، وما من أحد إلا وفى مشيته النشاط والجد ، وما من شارع إلا وقد دبت فيه الحياة أو تمثلت فيه أنماط من صور السعى إلى الرزق ، وكل امرئ فى شغل بسعيه عن غيره.

ومررت بباب أحد الفنادق الكبرى ، فإذا بغانية كأن وجهها زهرة نضرتها أنسام الفجر وأنداؤه ، وكأن عينيها نجمتان تخلفتا عن المغيب ، وكان يضع خدم الفندق متاعها فى سيارة من سيارات الأجرة ، بينما كانت تحمل على ذراعها معطفها وفراءها وعدداً ليس بالقليل من ثيابها . . . وسقط ثوب على الأرض فأسرع ثلاثة أو أربعة من شبابنا يتنافسون فى السبق إليه ، وظفر أحدهم بالتقاطه فأزال عنه الغبار بمنديله وقدمه إلى الغانية مزهواً مسحوراً بابتسامتها ؛ وهذه مروءة منه لا ريب ، ونحن قوم أولو مروءة ، فلا تحسبن أن مرد ما فعل ذلك الشاب إلى ما تجذبه من جمال . ولو أنها كانت عجوزاً فهل تشك فى أنه كان يسعى إليها ؟ إنك إذن لمن الجاحدين ...

ومضيت أغبط الفتى على مروءته ، أو قل أحسده على ما ظفر به جزاء على فعلته ، وأذكر ليلة الأمس إذ نزل من النادى أحد الكبراء من أصحاب الديوان ، فدفعت المروءة بعض الأساتذة الأماثل إلى الخفاوة به : فهذا يفتح له باب السيارة ، وذلك يحنى له رأسه ، بل لقد رأيت فيهم من عظمت مروءته فحمل له معطفه على ذراعه من أعلى النادى فناوله إياه فى سيارته . ولكن أحداً من هؤلاء لم يظفر بشىء كتلك الابتسامة الحلوة التى ظفر بها من الغانية هذا الشاب الذى لا يزال منى على خطوات .

وبينما تتثال على ذهنى صور تلك المروءات التى هى إحدى صفاتنا العامة ، آمنت بذلك أو لم تؤمن ، إذ التفت على صوت « موتسيكل » انقلب براكبه الأنيق وتفجرت منه النيران وقد اشتبك سروال الراكب المسكين بأحد أجزائه فما يستطيع النهوض ، وعلقت النار بثيابه ، وكلاهما وقع من الرعب ومن نشوب ثوبه بالحديد وهو يفرك النار عن ثوبه بيديه فى لهفة ولا يدرى ماذا هو فاعل ، وإنه ليدور بعينيه مستنجداً فى صورة من الرعب لا توصف ، وذلك الشاب ذو المروءة الذى ناول الغادة معطفها ينظر مع الناظرين إلى هذا الذى يحترق من بنى وطنه . ولا تسلنى أنا ماذا فعلت وماذا بلغ من مروءتى ؛ فلأن تتهمنى بالتقصير أهون عندى من أن تعيب على الفخر .

واشتعلت النار فى ثياب ذلك المسكين ، وأيقن الناس أنه هالك لا محالة ، وكلهم ينظرون وكأنهم لا يرون شيئاً ، حتى أقبل كهل مقبع ليس من بنى جلدتنا وليس له مثل مروءتنا فخلع معطفه وكان والله جديداً ثميناً وألقاه على الشاب المحترق وضرب عليه بكفيه فأطفأ النار ، ثم خلص الشاب وأعانه حتى بلغ به الطوار وأجلسه ثم نادى زميلا له ممن يتقبعون وإن كان حاسر الرأس ليستدعى الأسعاف ، ولبث يقلب البصر فى بدن الشاب ويهدىء روعه ويسأله عما أصابه من حروق ويهون عليه الأمر حتى جاءت عربة الأسعاف فحملته وهو يسأل ذلك الذى أنقذه عن اسمه وعنوانه ويلح عليه فلا يزيد على أن يبتسم له قائلا : « الحمد لله ! مروءتى ياحبيبى » .

وتناول الرجل معطفه ومضى مطرقاً هادئاً لا ينظر إلى ما أصاب المعطف من احتراق فى أكثر من موضع ، وكأنه لم يفعل شيئاً ، ونحن ينظر بعضنا فى وجوه بعض نظرات حمدت الله أن كان فيها شىء من الخزى لم يغرق كل الغرق فيما كانت تغطر من بلادة .

ولم أمض غير بعيد حتى أبصرت عربة أنزلق أحد جواديها فى منعطف نفر وجذب الجواد الثانى حتى كاد يخنقه ، ووثب الحوذى ينهض الجواد وحده فما يستطيع ؛ فيستغيث الناس قائلا «ياهوه ! يامسلمين !» حتى جاءه بعد لأى رجلان فأعاناه متكرهين

وقلت فى نفسى إن الدابة فى القرية تقع فى النزعة ، وإن النار تعلق بالدور فيقبل الشباب والكهول من كل صوب للنجدة لا ينتظرون دعاء ولا يحفلون أذى . أيكون مرد ذلك إلى أن أهل القرية يعرف بعضهم بعضا ؟ أم أن مرده إلى أنهم أهل نجدة لم تفسد المدنية فطرتهم ؟ لست أدرى . ولكن ذلك القبع ليس من أهل القرية ، ولا هو من أهل هذه المدينة !

الخفيف

أناهيـــــد (*)

للأستاذ شـــفيق معلوف

(وجعل العرب الزهرة امرأة بغياً مسخت نجما وكان اسمها أناهيد) « الجاحظ »

— ١ —

وبعـــدما عـــرا خـــرافةَ الذهـول
عجم وانـــبرى من كهفه يقول
فى غابر الأزمان مضى يحث السرى
ركب من العربان
حتى إذا جـــرى يوغـــل فى السهول
إذا بـــه يرى من حوله الخيول
تضرب بالحافر صدر الثرى
معقـوفـــة الذيول منصـوبة الآذان
تقطّع الأرســـان
وترجـــع القهقرى
وأرغت النيـــاق ذعراً وجـــرجرت
وشـــالت الأعنـاق ثم تقهـــقرت
وانطلقت فى القفر أى انطلاق
وشب فى الصحراء
عاصف نار ونور
يمـد فى الديجور
عنقـــه للسماء
ثم عـلا شيئاً فشيئاً يدور
فى قبة العوالم الشـــاسعه
حتى غدا شمساً فبدراً يغور
فكوكباً فنجمـة ساطعه

— ٢ —

وألم العربان أشـتاتهم واسترجعت هدوءها البيد
وانطلقوا إلى كثيب به شعاع ذاك النجم مشدود
فأبصروا فوق الثرى غادة لم تتشح بحسنها غيـــد
لما بها هو زين الصبا من كبد الصباح مقدود
ساكنة الحس فلا صدرها رف ولا أهدابها السودُ
ونهدها ذار كما لو ذوت على دواليها العناقيـد
سمراء أغواها الردى فالتوى على يد الموت لها جيد
يشخص فى نجم الملا جفنها كأنه بالنجم معقود
صاحوا أناهيد وراح الصـــدى
يزقو أناهيـــد أناهيـــدُ
كان فى الأرض لها مأتم وفى مقاصير الملا عيد

— ٣ —

كانت أناهيد بغياً متى غفا بفرعيها الفتى يسكر
تقطّر الخمر بكاساتها لفتية الحى وتســـتقطر
ولم يكن إلا جحيم الهوى وسـادها الملتهب الأحمر
مر على خيمتها فارس تبارك الطيب الذى ينشر
كأن عينى مهرة أبدتا لها عن الفارس ما يضمر
فاختلجت للحب أعماقها واهتز منها الغصن المثمر
وودت السمراء لو لم يكن شُق عليها للهوى مئزر
ولا روت ثغر فتى قبلما أطل ذاك الفارس الأسمر
ثلاث ليلاث تقضت كما لو هُن ظل الرمح أو أقصر
لا الفارس الأسمر يفضى إلى قلب أناهيد بما يشعر
ولا أناهيد التى جربت كل رُقى السحر به تظفر
حتى إذا مالت بأجفانها يد الكرى لطول ما تسهر
أيقظها ركض جواد جرى من بابها محموما يدبر
فزاحت الستر ومذ أبصرت
فارسهـــا يلفه العثـــير
وقد لوى عنانه هارباً كأنه الحلم الذى يعبر
راحت أناهيد على إثره بحافر الجواد تســـتأثر
تضرب فى البيداء حتى إذا أنهكها السير فلا تقدر
لاح لها من جانب المنحنى مارج نار ضوؤه يبهر
وسيد كأن محبوبها أطل من مقلته ينظر
صاح بها ريك كفى وارجعى ما أنا إلا هُبَل الأكبر
هذا عقاب الهجر فليعتبر إن ذاق طعم الحب من يفجر

(*) اصيدة من « أحاديث خرافة » أحد أناشيد كتاب « عبقر » فى طبعته الثانية التى تصدر قريباً باضافات جديدة .